مسرحية من فصل واحد

الرؤيا الصادقة

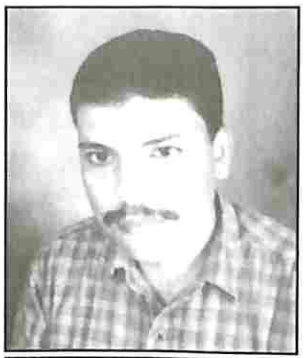

بقلم: علي الغريب
مصر

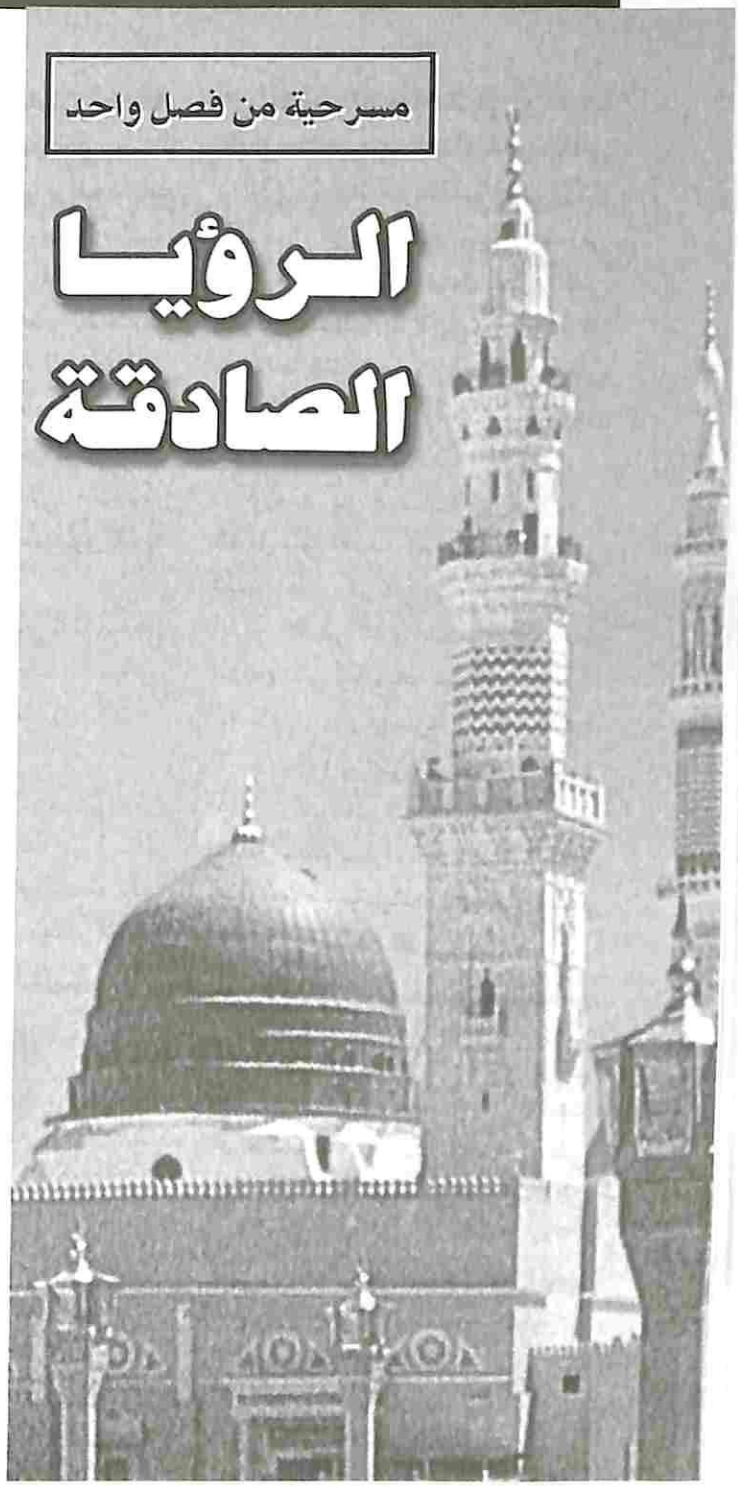

الزمان: سنة ٥٥٧ هجرية

المكان: بهو فسيح في دار السلطان العادل نور الدين محمود زنكي بالشام.. نرى جنود الحراسة في البهو.. دهليز يفضي إلى حديقة الدار.. الوقت بعد منتصف الليل.

جندي١: ترى ماذا يقلق السلطان؟

جندي ٢: ربما يكون مريضا فأنت تعرفه يرهق نفسه أكثر مما ينبغي.

جندي ١: لا.. الأمر ليس مجرد مرض.. هناك أمر خطير..

جندي ٢: الأمر لن يعدو ما قلته لك، غير أنك تحب أن تحمل الأمور أكثر مما تحتمل.

جندي ١: يا صاحبي.. السلطان قلق على غير عادته عندما يكون مريضاً.

جندي ٢: ماذا تعني؟

جندي ١: أعني.. أعني.. لا أدري.. ولكنّ هناك أمراً جللاً، فالسلطان عرفناه صبوراً محتسباً في مرضه، وكثيراً ما مرض ولم يشعر أحد ممن حوله بمرضه.

السلطان: «يجتاز البهو متوجهاً نحو الحديقة» السلام عليكم.

الجنديان: «يقفان في إجلال» وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته «لحظة ثم يعود السلطان إلى حجرته بعد أن توضأ».

جندي ٢: ماذا تقصد بالضبط؟

جندي ١: أقصد أن هناك فكرة ما تلح عليه وتقض مضجعه.

جندي ٢: أيكون يفكر في تجهيز الجيش لخوض حرب جديدة؟

جندي ١: لا أدري.

جندي ٢: «ضائقاً» لا أدري.. لا أعرف.. إذا كنت لا تدري ولا تعرف، فلا تزعجنا بأفكارك وتوقعاتك.

جندي ١: يا صاحبي إنما.. «يخرج السلطان موجهاً كلاما للجندي ١».

السلطان: اذهب من فورك أيها الجندي وائتني بالوزير جمال الدين الموصلي.

جندي ١: أمرك يا مولاي «يخرج مسرعاً.. أما السلطان فيعود إلى حجرته ويبقى الجندي الآخر وحيداً».

جندي ٢: «لنفسه» يبدو أن هناك أمراً خطيراً كما توقع صاحبي.. اللهم وفق السلطان لما تحب وترضى.

«يخرج السلطان وهو حائر قلق يزرع أرض البهو ذهاباً وإياباً.. لحظة ثم يعود الجندي الأول ومعه الوزير جمال الدين الموصلي».

الوزير: «متلهفاً» خيراً يا مولاي السلطان، لا أسْهدَ اللهُ لك جفناً.

السلطان: خير إن شاء الله «للجنديين» اذهبا واجلسا مع أصحابكما بالخارج الآن.

الجنديان: سمعاً وطاعة يا مولانا «يخرجان».

الوزير: حفظ الله السلطان من كل سوء وقلق.. ماذا هناك يا ترى؟

السلطان: بعد أن صليت تهجدي ونمت إذ بي أرى رسول الله ﷺ في نومي وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول:

«أنجدني.. أنقذني من هذين»، فاستيقظت فزعاً، ثم توضأت وصليت ونمت، فرأيت المنام عينه، فاستيقظت وتوضأت وصليت فرأيت المنام مرة ثالثة فقلت: لا ينبغي النوم، ثم أرسلتُ لك، فما رأيك؟

الوزير: ولِمَ قعودك، لنخرج الآن إلى المدينة النبوية، ولكن اكتم ما رأيت.

السلطان: حسناً، سأتجهز للسفر بقية ليلتي، وأنت تجهز أيضاً، وسآمر بتجهيز رواحل خفيفة، وكأننا خرجنا في زيارة لمسجد الرسول ﷺ.

الوزير: الرأي ما رأيت.. سأذهب لأجهز نفسي ريثما تكون استعددت وأمرت بتجهيز الرواحل «يخرج ثم يعود السلطان إلى حجرته».

***

(المشهد الثاني)

المكان: بالمدينة المنورة أمام ساحة المسجد النبوي آنذاك.. نرى السلطان ومعه وزيره وجنوده وقد اجتمع الناس من حولهم.

الوزير: «للناس» إن السلطان قصد زيارة مسجد النبي ﷺ وأحضر معه أموالاً للصدقة، فأحضروا من عندكم حتى يأخذ الجميع من عطايا السلطان «يخرج مجموعة من الناس لينادوا ذويهم».

السلطان: «يسلم كل واحد عطيته ثم يتفرسه جيداً حتى يتعرف على الرجلين وقبل أن ينفض الجمع قال للناس» هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة؟

الناس: لا يا مولانا السلطان.

السلطان: تفكروا وتأملوا.

الناس: لم يبق من أحد في المدينة.

رجل: انتظروا يا قوم.. بل هناك رجلان مغربيان، لا يتناولان من أحد شيئاً وهما غنيان صالحان، يكثران الصدقة على المحتاجين.

السلطان: إليّ بهما «يخرج الرجل ثم يعود بعد لحظة ومعه الرجلان».

السلطان: «فيجدهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله:

السلطان: أنقذني من هذين» من أنتما؟

أحدهما: نحن من بلاد المغرب جئنا حاجّين فاخترنا المجاورة هذا العام عند رسول الله ﷺ.

السلطان: اصدقاني القول.

الثاني: حفظ الله السلطان نحن لا نقول إلا صدقاً.

السلطان: «للناس» أين منزلهما؟

رجل : في رباط بالقرب من الحجرة الشريفة.

السلطان: «للوزير» خذ معك بعض الجنود وفتشوا دارهما وائتوني بخبرهما.

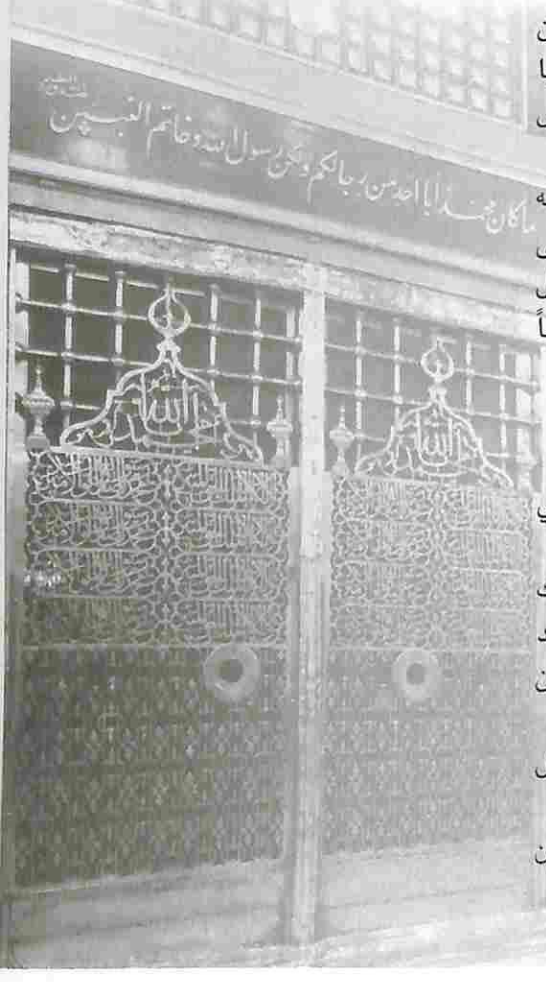

الوزير: أمر مولاي السلطان «يخرج ومعه بعض الجنود».

رجل: مولاي السلطان: إن هذين الرجلين صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة، والسلام على النبي ﷺ، وزيارة البقيع كل يوم، وزيارة قباء كل يوم سبت ولا يردان سائلاً قط، بحيث سدا حاجة أهل المدينة في هذا العام المجدب.

الوزير: «يدخل ومن خلفه الجنود» مولانا السلطان، لم نجد في منزلهما إلا كثيراً من المال، وكتباً في الرقائق، ولم نر شيئاً غير ذلك.

السلطان: «في تعجب» سبحان الله!! «بعد تفكير» اسمع أيها الوزير ابق معهما وسأذهب أنا لأفتش بنفسي «يخرج».

الأول: ما ظن السلطان بنا أيها الوزير العادل؟

الوزير: لا تقلقا.. ستعرفان كل شيء الآن.

الثاني: نحن لم نفعل ما يستحق كل هذا.

الوزير: لم يحدث شيء، وأنتما رجلان صالحان بشهادة الجميع ولكن السلطان يريد أن يتأكد من شيء ما.

الأول: هل يشك بأننا مفسدان لا سمح الله؟!

الوزير: لا تنزعجا.. لا تنزعجا.

الناس: الرجلان صالحان ولا يستحقان كل هذا من مولانا السلطان!

الوزير: اهدؤوا جميعاً.

«يدخل السلطان ومن خلفه الجنود وقد بدت على وجهه علامات كشف أمرهما».

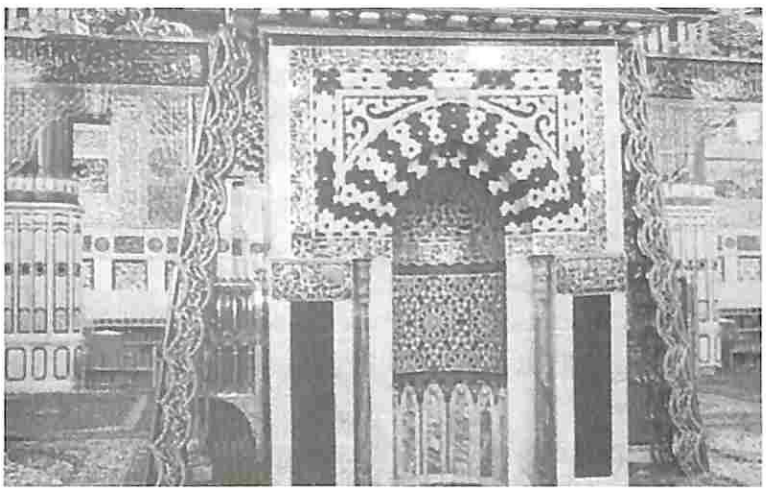

السلطان: «للجنود» قيدوا هذين الرجلين «الجنود يقيدونهما».

الثاني: ماذا حدث يا مولانا السلطان؟

السلطان: أيها الناس لقد وجدت في دار هذين الرجلين سرداباً محفوراً مغطى بالحصير ينتهي إلى الحجرة الشريفة.

الناس: «في ذهول» الحجرة الشريفة!!.. الحجرة الشريفة!!.. يريدان نبش قبر النبي ﷺ عليهما اللعنة»!!.

السلطان: نعم يريدان نبش قبر النبي ﷺ.

السلطان: «للرجلين» اصدقاني حالكما «يضربهما ضرباً شديداً» اعترفا بحقيقة أمركما، وإلا قتلتكما الآن.

الأول: «وقد خارت قواه» سأعترف .. يا سيدي.

الثاني: لا تتكلم.. لا تتكلم.

السلطان: «يضربه في قوة» اسكت ولا تتكلم «للرجل الأول» هات ما عندك.

الأول: نحن يهوديان، بعثنا قومنا في زي حجاج المغاربة وأمدونا بأموال عظيمة، وأمرونا بنبش القبر وسرقة جثمان محمد.

السلطان: وكيف تجرأتما وحفرتما هذا السرداب دون أن يعلم بخبركما أحد.

الأول: «لا تتكلم».

السلطان: تكلم أيها الشقي!

الأول: نزلنا في أقرب رباط إلى الحجرة، وصرنا نحفر ليلاً ولكل منا محفظة من الجلد على زي المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منا في محفظته ثم نخرج ونظهر أننا في زيارة البقيع، ثم نلقي به بين القبور، واليوم لو لم تأت أنت وجنودك، لكنا انتهينا إلى جثمان محمد.

السلطان: «للوزير» اضربوا عنقي هذين اليهوديين، ثم احفروا خندقاً عظيماً حول الحجرة الشريفة، وأحضروا رصاصاً وأذيبوه، ثم املؤوا به الخندق حتى يكون حول الحجرة الشريفة سور عظيم من الرصاص، وقد أمرنا بألا يستعمل غير المسلم في أي عمل من الأعمال.■

«ستار»